مناسبة قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع مقاصد سورة مريم –دراسة تحليلية–

The Relevance of the Story of Prophet Ibrahim (peace be upon him) to the Objectives of Surah Maryam: An Analytical Study".

الباحثة: حنين فارس قاسم*

Hanin Faris Qasim

haneen.٢٣isp٤٣@student.uomosul.edu.iq

م.د أياد مظفر يونس

Assistant Professor Ayad Muzaffar Younis

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الترابط الوثيق بين قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومقاصد سورة مريم، بحيث تتكامل فيها وحدة السورة القرآنية، وتُظهِر ترابط مضامينها، وتحقق الإدراك التام لفهم ما تهدف إليه من إشارة وتوجيه، وتبيّن لنا أنّ القصّة القرآنية ليست منفصلة عن المحور الذي تدور حوله السورة، بل تسهم في توضيح القضايا التي تناقشها السورة، وأنّ ورود القصّة في السورة وذلك لتؤدّي وظيفتها الخاصّة فيها، ولا شكّ أنّ لكلّ سورة في القرآن لها شخصية تميّزها عن غيرها من السور، وأنّ قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام جاءت في عدّة سور، حيث تناولت جوانب مختلفة من شخصيته، وذلك لتحقيق هدف معيّن أو عدّة أهداف لخدمة مقصد السورة العام، كما كشفت هذه الدراسة عن أسرار البلاغة في ألفاظ القصّة، ومناسبتها لمقصد السورة العام.

الكلمات المفتاحية: مناسبة، قصّة، مقصد السورة، الدراسة التحليلية.

Abstract:

This study aims to reveal the close connection between the story of Prophet Ibrahim (peace be upon him) and the objectives of Surah Maryam, in a way that affirms the unity of the Qur'anic Surah, highlights the coherence of its themes,

* جامعة الموصل/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم العقيدة والفكر الإسلامي.

and enhances full comprehension of its intended messages and guidance. It demonstrates that the Qur'anic story is not isolated from the central theme of the Surah, but rather contributes to clarifying the issues addressed within it. The study also shows that every Surah in the Qur'an possesses a unique character that distinguishes it from others, and that the story of Prophet Ibrahim (peace be upon him) appears in various Surahs, each time reflecting different aspects of his character to serve a specific objective or multiple objectives aligned with the overall purpose of the Surah. Additionally, this study uncovers the rhetorical and stylistic secrets embedded within the expressions of the story, and their relevance to the main objectives of the Surah.

Keywords: occasion, story, the purpose of the surah, analytical

المقدّمة:

بسم الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، الذي أنزل كتابه العزيز تبيانًا لكلّ شيء، وجعله نورًا يُضيء به طريق السالكين، واصطفى من خير خلقه رحمًة للمهتدين، نبيّنا الأكرم محمّد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فالقرآن الكريم كتاب الله عزّ وجلّ المعجز، الذي تحدّى به الإنس والجن على الإتيان بمثله، فجاء نظم وبلاغة أعجز عنه الفصحاء، واسلوب يخاطب العقول والقلوب، والقصص القرآني كانت إحدى أساليبه في الهداية والإرشاد، وحملت دلالات عميقة ومتناسقة تخدم مقاصد السور التي وردت فيها، وتسعى إلى تحقيق ما تصبو إليه، سواء في قضية تقرير أصول العقيدة الإسلامية، أو في دحض شبهات المعاندين المكذّبين للقرآن الكريم، أو غيرها من القضايا، كما يبرز فيها جمال الأساليب القرآنية، وكيفية تقديم الموعظة، أو تشريع الأحكام بأسلوب بديع ومترابط يخاطب العقل والقلب معًا، كما تساعد القارئ على تدبّر القرآن الكريم بشكل أعمق، مما يعزّز لديه قوّة اليقين بالله، وفهم رسالته جلّ جلاله، كما يسعى نحو التطبيق العملي مما تعلّمه من حكمة وتدبر، والبحث الذي بين أيدينا يتناول قصّة خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام الواردة في سورة مريم، ومناسبتها مع مقاصدها، كما أسهم في بيان الوجوه التفسيرية، والأساليب البيانية للقصّة، الذي يُظهر ويؤكّد أنّ القرآن الكريم بلغ أقصى درجات النظم و البلاغة والإعجاز، والمنهج الذي سار عليه البحث: المنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي.

مشكلة البحث:

جاءت قصص الأنبياء في القرآن الكريم موزّعة مشاهدها وأحداثها في سورهِ، مع تنوع الأساليب التعبيرية في كلّ موضع، ممّا أثار تساؤلًا لدى الباحثين حول علاقة ورود القصّة في سورة معينة مع مقاصدها وأهدافها، من هنا جاء هذا البحث ليتناول قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة مريم عليها السلام، لا سيما وهو شيخ الحنفاء، وإمام للناس جميعًا، وباني بيت الله الحرام، وأوّل من أذّن للناس بالحج، للكشف عن مناسبة ورود قصّته في هذه السورة، ومدى ارتباطها مع مقاصدها.

أهداف البحث:

١- الكشف عن أسرار مناسبة قصّة سيدنا إبراهيم مع مقاصد مريم عليها السلام، من خلال تتبّع معاني القصّة، والربط بينها وبين المحور الذي تدور حوله السورة.
٢- معرفة ما تحمله القصّة من أسرار ونكت بلاغية لتأكيد أنّ هذا الكتاب العظيم معجز بنظمه وأسراره وبلاغته.
٣- دراسة القصص القرآني وتنوعها بين قصص الأنبياء عليهم السلام، وقصص الأمم السابقة والبحث فيها تحمل في طيّاتها متعًة فريدة، لما فيها من التشويق لمعرفة الأحداث والوقائع، وما تحمله من موعظة وإرشاد.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة تُعنى ببيان المناسبة بين قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومقاصد السور التي ذُكِر فيها، لكن يوجد بعض الدراسات والبحوث المشابهة لهذا الموضوع، منها:

أولًا: قصّة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم دراسة تفسيرية بيانية، د. صافي صلاح الصافي، جامعة الأزهر/ كلية اللغة العربية بإيتاي الباورد/ المجلة العلمية/ العدد: ٣٧، الإصدار: الثاني، (١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤م)، ص ١٠٧١–١١٢٢، اهتمّ هذا البحث بدراسة آيات القصّة من وجوه تفسيرية، وأساليب بيانية معتمدًا على المنهج التحليلي الاستنباطي للآيات الكريمة، دون تركيز على ربطها بمقاصد السورة الكريمة.

ثانيًا: الدلالات السياقية لقصّة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، هاجر مصطفى أحمد محمّد رشوان، رسالة ماجستير/ جامعة قطر/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م، هذه الدراسة سلّطت

الضوء على السياق النصي والتاريخي في قصّة النبي إبراهيم عليه السلام، من خلال ربط مشهد القصّة لما قبله وما بعده والكشف عن المناسبة، وركزّت على السياق التاريخي من خلال ارتباط القصّة بتاريخ نزول السورة، وملاحظة التشابه بالأحوال التي مرّ بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي دارت مع سيدنا إبراهيم عليه السلام خاصّة فيما يتعلّق بنبذ الشرك وتوحيد الله جلّ جلاله.

ثالثًا: التناسب في سورة إبراهيم عليه السلام وارتباط قصّته بالسياق الموضوعي للسورة والسور الأخرى حولها، د. ندين مصطفى السليمي، مجلّة الإحياء في جامعة الملك عبد العزيز /جدّة/ المجلّد: ٢٣، العدد: ٣٣، اكتوبر ٢٠٢٣م، ص:٧-٢٤، اعتمدت هذه الدراسة على تحليل أجزاء سورة إبراهيم ونظمها الموضوعي لبيان تناسب آيات سورة إبراهيم، وسبب مجيء دعاء سيدنا إبراهيم فيها، وارتباطه بالسياق الذي يتكرر في موضوع النعمة وشكرها، طبقت الباحثة الدراسة التقسيم التناظري لمقاطع السورة، لبيان نظمها وتناسق موضوعاتها، ثمّ لإظهار العلاقة بين دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام فيها وبين السور المحيطة التي تذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام.

خطّة البحث:

تضمنّت المقدّمة: أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهجيته، وحدوده، وأبرز الدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بعلم المناسبة والقصّة القرآنية.

المبحث الثاني: التعريف بسورة مريم.

المبحث الثالث: مقاصد سورة مريم.

المبحث الرابع: التفسير التحليلي وجمالية التعبير القرآني لقصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام الواردة فيها، ومناسبة قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع مقاصد السورة.

الخاتمة: وفيها أهم الاستنتاجات التي توصلتُ إليها.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأوّل

التعريف بألفاظ عنوان البحث

التعريف بالمناسبة والقصّة والمقصد.

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبة:

المناسبة لغةً: المُشَاكلةُ، ويُقَالُ نَسيبُه أي: قَريبُهُ، ونَسَبَ: النُون والسين والبَاء كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وبَابَهُ نَصَر، سُمّيَ لاتّصاله والاتّصَالُ بهِ، والنِسبَةُ بِكسرِ النون وضَمّها مِثلُهُ ، ونَقُولُ نَسَبتُ الرَجُلَ أي ذَكرتُ نَسَبُه وأصلُهُ، ويُقال: رجلٌ نَسّابة أي: عالمٌ بالأنسابِ، ونِسبة: بالكسر، وانتَسَبَ الى أبيهِ أي اعتَزَى، وتَنسّبَ إليك أي: زَعَمَ أنه نَسيبُك وقَريبُك[1].

المناسبة اصطلاحاً: " المناسبة علم شريف، تحرز به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول... فكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها إلى الله والله أعلم الى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، أو عقلي أو حسي أو خيالي، وغيرها من أنواع العلاقات أو التسبب الذهني، كالعلة والمعلول، والسبب والمسبب والنظيرين والضدّين ونحوه، أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر "[2].

فإظهار الترابط بين السور والآيات القرآنية يساعد على الفهم الكامل لكتاب الله جلَّ جلاله، كما يوضّح الحكمة من الترتيب العجيب للآيات والسور فتحدث وحدة موضوعية مترابطة.

فائدة علم المناسبة: إظهار التناسق بين أجزاء النص القرآني، وكيف أن بعضه آخذاً بعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط [3].

---

(1) ينظر: العين، الفراهيدي: ٢٧٣/١ ؛ مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥/ ٤٢٣–٤٢٤.

(2) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٣٦/١.

(3) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٣٢٣/٣.

المطلب الثاني: التعريف بالقصّة القرآنية:

القصّة لغًة: " قصصتُ الشيء إذا تتبّعتُ أثره، شَيئًا بعد شَيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴿١١﴾ ﴾ [١] أي: اتّبعي أثره "[٢].

القصّة لغًة: من الفعل قصّ "القاف والصاد أصلٌ صحيح يدل على تتبّع الشيء، يُقال: قصصتُ أثره؛ أي: تتبّعته، ومن الخبر: وقصّ عليه خبرهُ؛ بمعنى: أعلَمَهُ، وقوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [٣] والقِصص –بكسر القاف– هي جمع القِصّة التي تُكتَب[٤].

القصّة في اصطلاح الأدباء: عبارة عن مجموعة من الأحداث الجزئية التي تحدث في الحياة اليومية للمجتمع، بحيث تمثّل معظم جوانب الحياة؛ وذلك لترويح النفوس البشرية باللهو، وتثقيف العقول بالحكمة[٥].

واصطلاحًا: القصص: هي الأخبار المتتابعة، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[٦]، وقوله: { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ }[٧]، وسميّت بذلك؛ لأنّ الحكاية تساوي المحكي[٨].

القصّة القرآنية اصطلاحًا: " إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبّع آثار كلّ قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه "[٩].

---

(١) سورة القصص، من الآية: ١١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ٣٦٥٠/٣٩.

(٣) سورة الكهف، من الآية: ٦٤.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ١١/٥ ؛ لسان العرب، ابن منظور: ٧٤/٧ ؛ القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٦٢٧/١.

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي، الزيّات: ٤٩٣.

(٦) سورة يوسف، من الآية: ١١١.

(٧) سورة آل عمران، من الآية: ٦٢.

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٢٢/٥ ؛ المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني: ٦٧١.

(٩) مباحث في علوم القرآن، منّاع القطّان: ٣١٦–٣١٧.

المطلب الثالث: التعريف بالمقاصد:

المقصد لغة: " (ق ص د)، وهي بمعنى إتيان الشيء وأُمّه "[١].

المقصد اصطلاحًا: " الغاية التي يريدها المتصرّف، ومقصود الشارع: غايته وهدفه "[٢]، وهي: " الأمور المتضمنة للمصالح والمفاسد نفسها "[٣].

ويقصد بمقاصد القرآن" هي الغايات والأهداف التي أُنزل القرآن من أجلها، والمعاني التي تدور عليها آيات التنزيل، والأغراض العليا والقضايا الأساسية التي اشتملت عليها سور القرآن، بحيث لا تخرج سورة منها عن بيانها أو الإشارة إليها، وهي من ثمّ غاية الوحي الإلهي بالكتب؛ والحكمة من إرسال الرسل "[٤].

المبحث الثاني

التعريف بسورة مريم

سورة مريم مكيّة[٥]، وقيل: إلّا السجدة فيها فهي مدنية وهي قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيم وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}[٦][٧]، وتعتبر من السور العتاق في العهد المكي كما قال ابن مسعود –رضي الله عنهما– عن سور: بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: «إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي»[٨]،ومعناه: أنّه من قديم ما كسبت من حفظ القرآن، كالمال التلاد[١]،عدد آياتها: "تسع وتسعون مدني

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٩٥/٥.

(٢) ينظر: معجم لغة الفقهاء، قلعة: ٤٥٤.

(٣) القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، محمود حامد عثمان: ٢٨٢.

(٤) المقاصد العامة للقرآن الكريم، أحمد الوتّاري: ١٣.

(٥) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي: ٣١٧/٢ ؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ٦٥٥/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤٠٣/١٣ ؛ فتح القدير: ٨٨١.

(٦) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٩/٢ ؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٣٥٩/١٦ ؛ الجواهر الحِسان في تفسير القرآن، الثعالبي: ٥/٤ ؛ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢٦.

(٨) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن: ١٨٥/٦، رقم(٤٩٩٤).

وشامي"[٢]، وقيل: تسع وتسعون للمدني الأخير والمكي، وثمان وتسعون للباقين[٣]، وعدد كلماتها: " تسع مئة واثنتان وستون كلمة، وحروفها: ثلاثة آلاف وثماني مئة وحرفان "[٤].

لها اسم واحد " سورة مريم " وهو توقيفي، عُرّفت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير.

الاجتهادي: سورة: "كهيعص" " كُتبت هذه التسمية في مصحف نسخ في القرن الثاني الهجري في شمال أفريقيا، وهو مخطوط على الورق بالخط الكوفي المغربي... والمصحف من مخطوطات بيت القرآن في البحرين"[٥].

المبحث الثالث

مقاصد سورة مريم

أولًا: نزلت هذه السورة لإبطال شبهة أهل الكتاب على ما اقترفوه في حقّ الله وأنّه اتخذ ولدًا، تعالى عمّا يصفون، فركّزت السورة الكريمة على توحيد الله جلّ جلاله، وتنزيهه عن اتخاذه الشريك أو الولد[٦].

ثانيًا: إثبات البعث والنشور والصراط والجزاء، وقدرته عزّ وجلّ المطلقة على إخراج الولد من الشيخ الكبير، والعجوز، في قصّة زكريا ويحيى عليهما السلام، وإبراهيم واسحاق عليهما السلام، وأخرج الولد من أُنثى بدون أب، في قصّة مريم وعيسى عليهما السلام[٧].

ثالثًا: صوّرت جانب من العلاقة الإنسانية بين الآباء والأبناء، إذ أظهرت بوضوح حاجة النفس البشرية للذرية الصالحة، ورغبتها الصادقة لها، وظهر ذلك من خلال دعاء سيدنا زكريا ورجاؤه بأن يهبه الله الولد

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ١١٢٥ ؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي: ٦/١٧.

(٢) مدارك التنزيل، النسفي: ٦٥٥/٢.

(٣) ينظر: مرشد الخلّان إلى معرفة عدّ آي القرآن، عبد الرزاق علي: ١٠٤.

(٤) البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني: ١٨١.

(٥) أسماء السور وفضائلها، منيرة الدوسري: ٢٦٢.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٦٠/١٦.

(٧) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة: ٤٦٠٨/٩ ؛ الدرر في مقاصد السور، البشاوري: ٥١/٢.

ويعينه وينصره، ويتولى الرسالة من بعده[١]، كما عرضت حبّ الأبناء للآباء في قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام[٢].

رابعًا: معالجة اعتقادات كفار مكة وإقامة الحجّة عليهم، وقطع أعذارهم، بسبب عنادهم وإصرارهم على الكفر[٣].

خامسًا: أكّدت على إثبات قضية البعث والنشور، وقدرة ربُّ العزة على إحياء الموتى بعد فنائهم، كما أخرج الولد من العجوز، وهو النبي يحيى عليه السلام، وأخرج النبي عيسى عليه السلام بلا أب، وكان ذلك خرقًا للأسباب، وذكر كذلك قياس الإعادة على الابتداء، وأقسم سبحانه على إثبات البعث قال تعالى: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا(٦٨)}[٤][٥].

سادسًا: تحقيق العبودية وتعظيم شأن الربوبية وهذا المقصد عملي؛ حيث عرضت السورة الكريمة نماذج لتضرّع الأنبياء لربّهم جلّ جلاله وعبوديتهم له، كدعوة سيدنا زكريا عليه السلام، وعبادة السيدة مريم لله وخلوصها له تعالى، وعيسى عليه السلام كذلك، ودعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه إلى توحيد الله وعبادته بإخلاص، مع تأكيد السورة على اقتداء المؤمنين بالأنبياء عليهم السلام والصالحين، وذلك باتّباع أخلاقهم وأعمالهم، لأنّ اتّباعهم يهدي إلى سنّة الله تعالى والإيمان إلى الصراط المستقيم، وهو الدين الإسلامي الحنيف، وبهذا تتحقق حكمة بعثة الرسل والأنبياء عليهم السلام، وتتحقق الغاية من وجود الإنسان[٦].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة: ٤٦١٠/٩.

(٢) ينظر: التفسير المنير: ٤٧/١٦.

(٣) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، حبنكة الميداني: ٣٦٧/٧.

(٤) سورة مريم، الآيات: ٦٦–٦٨.

(٥) ينظر: زهرة التفاسير: ٤٦٠٣/٩ ؛ الدرر في مقاصد السور: ٥٧/٢.

(٦) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى: ٣٢٥٠/٦ ؛ التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء بإشراف مصطفى مسلم: ٤٠٧/٤ ؛ الدرر في مقاصد السور، البشاوري:٥١/٢.

سابعًا: وهو من أجلّ المقاصد وأنفعها للعبد المؤمن، حيث سلّطت الضوء على رحمة الباري عزّ وجلّ العظيمة وهي من صفات الكمال الربّاني، والتي يحتاجها العبد أكثر من حاجته للماء والطعام، ونستشعر برحمته سبحانه في كل آية من آيات هذه السورة الجليلة، فقد تكرّر اسم الله "الرحمن" ستّة عشر مرة، وكلمة "رحمة" أربع مرات، وذكر رحمته تعالى بزكريا ومريم وإبراهيم وموسى وعيسى واسماعيل وادريس عليهم السلام جميعًا، وبيّن أثر هذه الرحمة في حياتهم، وظهرت آثارها جليّة في آياتها حيث غلب عليها جو الرحمة، بانتهائها بالألف اللينة[1].

المبحث الرابع

التفسير التحليلي وجمالية التعبير القرآني لقصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام الواردة فيها، ومناسبة قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع مقاصد السورة.

الموضع الوحيد الذي ذُكِر فيه مشهد من مشاهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو:

قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إبراهيم إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبراهيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٥٩/١٦ ؛ التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: ٤٠٦/٤-٤٠٧ ؛ الدرر في مقاصد السور، البشاوري: ٥٣/٢ ؛ أهداف كل سورة ومقاصدها، عبد الله شحاته: ٢٣٩/١.

ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيم وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا(٥٨)}[١].

قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إبراهيم}: من براعة الاستهلال[٢]، حيث فيها تشويق للنفس، ولفت الأذهان في سماع الخبر، ومتابعة أحداث القصّة، وبيان مكانة إبراهيم عليه السلام الجليلة الرفيعة عند خالقه[٣]، وهذه الجملة {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إبراهيم} عطف على جملة:{واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ}[٤]، أي: عطف قصّة على قصّة، والمعنى: واذكر في الكتاب أي: القرآن الكريم خبر النبي إبراهيم عليه السلام[٥]، ومن الجدير بالذكر هنا: أنّ عبارة: {واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ} وردت في سورة مريم فقط، ولم ترد في باقي السور القرآنية، والمقصود بالكتاب: هو القرآن الكريم[٦].

ابتدأت الآية بـ (إنّ) في قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}، وفي هذا الابتداء بلاغة عالية حيث أنّها: " تُفيدَ من رَبْط الجملةِ بما قبلَها أمراً عجيباً. فأنت تَرى الكلام بها مستأنفًا غير مستأنف، ومقطوعًا موصولاً معاً... وترى الجملةَ إذا هي دخلت تَرتبِطُ بما قبْلها وتأتنفُ معه وتَتَّحد به، حتى كأنَّ الكلامينِ قد أُفرِغا إفراغاً واحداً، وكأَن أحدَهما قد سُبِكَ في الآخر"[٧]، وقوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}: الصدّيق: اسم للمبالغة في الصدق، يُقال لمن صدّق بالله وآمن به، وآمن بالغيبيات، وعمل بما صدّق به، فقدّم هنا الصدّيقية على النبوة، وذلك للمبالغة في الاحتراز عن توهم صفة التصديق بالنبوة، فإنّ كلّ نبي صدّيق[٨]، ووصِفَ عليه

(١) سورة مريم، الآيات: ٤١–٥٨.

(٢) مصطلح بلاغي يشير إلى أنّ ما ابتدأ به النص يكون مناسبًا للمقصود أو الغرض العام وهو أحسن الابتداءات، ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الصعيدي: ٧٠٨/٤.

(٣) ينظر: خصائص النظم القرآني، أبو ستيت: ٢٧.

(٤) سورة مريم، من الآية: ١٦.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤٥٦/١٣–٤٥٧ ؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور:١٦/ ٧٨.

(٦) ينظر: " قصّة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم دراسة تفسيرية بيانية"، د. الصافي صلاح الصافي: ١٠٨٢.

(٧) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٢٧٣/١–٣١٦.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٣٣١/٣ ؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري: ٢٢/٤ ؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: ٢٦٦/٥.

السلام بالصدّيق: " لفرط صدقه في امتثال ما يُكلّفه الله تعالى لا يصدّه عن ذلك ما قد يكون عذرًا للمكلّف، مثل مبادرته إلى محاولة ذبح ولده حين أمره الله بذلك في وحي الرؤيا"(١).

وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا}: العرب في النداء تقول: يا أبَةِ، ويَا أمَّةِ ولا تقول قال أبتي كذَا ولا قالت أمَّتِي كذا (٢)، ومناداة سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه مع أنّه أنّه قريبًا منه، وذلك: " لإحضار سمعه، وتهيئة ذهنه لتلقّي ما سيُلقيه إليه"(٣)، واستعمل (يا) في ندائه إشارة على حرصه عليه السلام لإنقاذ أباه من الضلال، في جو حواري عَذِب، مشحونًا بالعاطفة(٤)، وهو ما ناسب ناسب جوّ السورة.

وقوله تعالى: { يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ }: استفهام استنكاري تعجّبي، أي: كيف تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يكفيك شيئا، وهذه الصفات الثلاث قادحة في الإلهية(٥)، ونداء سيدنا إبراهيم عليه السلام بالياء إشارة إلى بُعد المنادي في المذهب والاتّجاه النداء(٦)، وقوله تعالى: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ} : كرّر النداء بـ "يا أبتِ" ترقيقًا بالقلب، واستعطافه له علّه يترك عبادة الأصنام، كما أنّ تكرار ندائه بوصف الأبوة تأكيدًا لإحضار الذهن، ولإمحاض النصيحة المستفادة من النداء الأول(٧).

وكرّر اسم الشيطان مرتين في قوله تعالى: {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} وإظهاره في مقام الإضمار؛ لأنّ في ذِكر صريح اسمه زيادة التنفير منه(٨).

قوله تعالى: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} لمّا أخبره أنّ عبادة الأصنام ما هي إلّا اتّباع الشيطان؛ انتقل إلى تحذيره من غضب الله، وحرمانه من رحمته بأن يحلّ به

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١١٢/١٦.
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٣٣١/٣ ؛ بحر العلوم، السمرقندي: ٣٢٥/٢.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١١٣/١٦.
(٤) ينظر: التعبير القرآني والصحة النفسية، د. عبد الله الجيوسي: ٤٤٦.
(٥) ينظر: لباب التأويل: ١٨٩/٣ ؛ " قصّة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم " رسالة ماجستير: ١٠٨٧.
(٦) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، المطعني: ٢٧٣/٢.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١١٥/١٦.
(٨) ينظر: نظرات بلاغية في آيات قرآنية، الرويني: ٤٣.

العذاب، وأنّه مصير كلّ من اتّخذ الشيطان وليًا[١]، وقال: يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ولم يقل المنتقم أو الجبار، لأنّ جو الرحمة غلب على السورة، فقد ابتدأت بالرحمة في قوله تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا}[٢]، وانتهت بالرحمة أيضًا في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}[٣]، وقد وقد تكرر اسم الله "الرحمن" في هذه السورة أربعة عشر مرة، وهي أكثر سورة في القرآن الكريم تكرر فيها هذا الاسم[٤].

قوله: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إبراهيم} : أي: أتارك آلهتي وعبادتهم يا إبراهيم، وكرر النداء للإنكار والتعجّب، وقوله: {لَأَرْجُمَنَّكَ}: قيل بالحجارة، وقيل: بالسبّ والشتم، وجملة: {وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} معطوفة على {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ} ، ومعنى: {وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} أي: طويلًا، أو: اجتنبني سالمًا قبل أن تصيبك عقوبتي، وهو مروي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[٥].

لقد قابل سيدنا إبراهيم عليه السلام الإساءة بالإحسان، وعذر أباه لأنّه غارق في الضلالة[٦]، فقال له: {سَلَامٌ عَلَيْكَ} قيل: هي بمعنى التحية، وهي تحيّة مفارق، كقوله تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}[٧]، ووعده بالاستغفار له، ذلك قوله تعالى في سورة التوبة: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ}[٨][٩]، وقوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا : تعليل لمضمون ما قبله، وعبّر بصيغة المبالغة "حفيًا" على زنة "فعيل" لدلالة على المبالغة في الحفاوة والإكرام من قِبَل الله تعالى[١٠].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١١٧/١٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢.

(٣) سورة مريم، الآية: ٩٦.

(٤) ينظر: أسئلة بيانية في القرآن الكريم، فاضل السامرائي: ١١٩.

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ٨٨٧ ؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٢٠/١٦.

(٦) ينظر: نظرات بلاغية في آيات قرآنية، الرويني: ٤٤.

(٧) سورة الفرقان، من الآية: ٦٣.

(٨) سورة التوبة، من الآية: ١١٤.

(٩) ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي: ٢٢/٤ ؛ الكشاف، الزمخشري: ٢٥/٤.

(١٠) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي: ٤١٩/٨.

ثمّ قصّ الله جلّ جلاله على نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم قصص أربعة من الأنبياء : موسى وهارون واسماعيل وادريس عليهم السلام، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} ، فاختاره الله تعالى لرسالته وتكليمه وعبادته، وذلك لإخلاصه لله عزّ وجلّ في عبادته، وجعل من أخيه هارون عليه السلام نبيّا مثله ليعينه رحمةً به، وذكر سيدنا اسماعيل عليه السلام؛ حيث كان صادقًا في وعوده لربّه وأمره لأهله بالصلاة وعبادة الله عزّ وجلّ، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} ، وذكر سيدنا ادريس عليه السلام، ووصفه بصفات الكمال على وجه التعظيم والإجلال، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}[١]، ثمّ أثنى تعالى على سيدنا إبراهيم عليه السلام مع جملة من الأنبياء، وذكر نعمته عليهم ، قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيم وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} أي: هديناهم للإيمان، واصطفيناهم للنبوة والرسالة، لأنّهم كانوا إذا سمعوا آيات الله تُتلى عليهم سجدوا وبكوا من خشية الله تعالى[٢].

مناسبة قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع مقاصد سورة مريم: محاورة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه:

مناسبة القصّة لما قبلها: لمّا بيّن تعالى ضلال من اتّخذ معبودًا عاقلًا من دون الله، بذكر قصّة مريم وابنها عيسى عليهما السلام، واختلاف الأحزاب في أمرهما وعبادتهما من دون الله وذكر الفريق الضال الذي عبد جمادًا، والفريقان وإن اشتركا في الضلال، لكن الفريق العابد للجماد أضل، ثمّ ذكر قصّة شيخ الحنفاء إبراهيم عليه السلام مع أبيه تذكيرًا للعرب بما كان إبراهيم عليه السلام من توحيد الله، وتبيّن أنّهم قد سلكوا غير طريقه، وفيه صدق إثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به واتّباعه ملّة إبراهيم عليه السلام، وأنّ ذلك متلقّى بالوحي[٣].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، السعدي: ٥٠٧-٥٠٨.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني: ٢١٢/١٦.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٢٣/٢١ ؛ البحر المحيط، ابو حيان: ١٨١/٦.

مناسبة القصّة لما بعدها: أفضت مناسبة ذكر إبراهيم ويعقوب عليهما السلام إلى أن يُذكر سيدنا موسى عليه السلام هنا؛ لأنّه أشرف نبي من ذريّة إسحاق ويعقوب عليهما السلام(١)، وذكر بعده سيدنا اسماعيل عليه السلام، وفي هذا يقول البقاعي: " لمّا كان اسماعيل عليه السلام هو الذي ساعد أباه إبراهيم عليه السلام في بناء البيت الذي كان من الأفعال التي أبقى الله بها ذكره، وشهر أمره وكان موافقاً لموسى عليه السلام في ظهور آية الماء الذي به حياة كل شيء وإن كانت آية موسى عليه السلام انقضت بانقضائه، وآيته هو باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي التي كانت سبب حياته وماؤها ببركته أفضل مياه الأرض، وجعل سبحانه آية الماء التي أظهرها له سبب حفظه من الجن والإنس والوحش وسائر المفسدين، إشارة إلى أنه سبحانه يحيي بولده محمّد صَلَّى اللهُ عليه وسلم، الذي غذّاه بذلك الماء ورباه عند ذلك البيت إلى أن اصطفاه برسالته، فحسدته اليهود وأمرت بالتعنت عليه ما لم يحي بغيره، ويجعله قطب الوجود كما خصه من بين آل إبراهيم عليه السلام بالبيت الذي هو كذلك قطب الوجود، ويشفي به من داء الجهل، ويغني به من مرير الفقر، كما جعل ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر من شيد قدرهم، وأعظم من أعلى ذكرهم، عقب ذكره بذلك فقال: {واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ} أباك الأقرب إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام الذي هم معترفون بنبوته، ومفتخرون برسالته وأبوته، فلزم بذلك فساد تعليلهم إنكار نبوتك بأنك من البشر "(٢).

مناسبة القصّة مع مقاصد سورة مريم: من عدّة محاور، منها:

أولًا: سورة مريم جاءت لإبطال معتقدات فريقين من الناس؛ الأول: من اتّخذ معبودًا حيًا عاقلًا، وهو مخلوق مثلهم، وهم: النصارى حيث اتّخذوا عيسى عليه السلام إلهًا، وجعلوه ابنًا لله تعالى عمّا يُشركون، والفريق الثاني: هم عبدة الأوثان، وتمثّل ذلك في قوم النبي إبراهيم عليه السلام، وكفار مكّة، فذُكِر في السورة الكريمة سيدنا إبراهيم عليه السلام لبيان أنّ ما جاء به هو التوحيد الخالص لله، وترك عبادة الأصنام التي

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٢٦/١٦.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ٢١٢/١٢-٢١٣.

ليس لها منفعة للإنسان، وأنّ من يعبدها فقد ابتعد عن الدين الحقّ المؤدي إلى نور الهداية والإصلاح، واتّخذ طريق الضلال المؤدي إلى نار جهنّم، وإبطال زعمهم في الانتساب له عليه السلام[١].

ثانيًا: قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام تضمنّت المعجزة من الله عزّ وجلّ عندما وهبه إسحاق بعد كِبَره وعقم زوجته، ومن بعده يعقوب عليهما السلام وجعلهما أنبياء، وهذا يتناسب مع ما تضمنته سورة مريم من المعجزات، وهي: ولادة سيدنا عيسى عليه السلام من غير أب، وميلاد يحيى عليه السلام رغم كِبَر والده زكريا عليها السلام، وعقم أمّه[٢].

ثالثًا: سورة مريم امتازت في تصوير العلاقة المتبادلة بين الآباء وأبناءهم، وحرصهم عليهم، ويظهر ذلك جليًا في قصّة زكريا عليه السلام عندما دعا ربّه بصدق في أن يهبه ولدًا صالحًا يعينه على حمل الرسالة في قوله: {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)}[٣]، وفي قصّة النبي إبراهيم عليه السلام أظهرت حب الأبناء للآباء بأبهى صورة، حيث ناداه نداء المحبة عطفًا به: { يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ }، وحرصه على إنقاذ أبيه من عبادة الأصنام، ورغم رفض أبيه ترك عبادة الأصنام، لم يتخلّ إبراهيم عليه السلام عن أدبه في معاملته له، بل وعده بالاستغفار له: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} [٤].

رابعًا: من أبرز ما يتجلى في هذه السورة هو رحمته تعالى التي شملت أنبيائه عليهم السلام حيث وهب لسيدنا زكريا النبي يحيى عليهما السلام رغم كِبَر سنّه، وعقم زوجته، كذلك وهب لسيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن اعتزل قومه؛ سيدنا إسحاق، ومن بعده سيدنا يعقوب عليهما السلام واصطفاهما وجعلهما أنبياء، فعطاء الله جلّت قدرته لا يخضع للظروف البشرية المعتادة[٥] فتبيّن لنا انسجام قصّة النبي إبراهيم عليه السلام مع جوّ السورة ومحورها، وفي ذلك تتجلى أعظم مقاصد القرآن الكريم.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٢٣/٢١ ؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين: ٤٨٩/٤ ؛ صفوة التفاسير: ٢١٨/٢ ؛ " الدلالات السياقية لقصّة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم" رسالة ماجستير، هاجر مصطفى : ٥١.

(٢) ينظر: " الدلالات السياقية لقصّة إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم" : ٥٢.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ٥–٦.

(٤) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة: ٤٦٤٦/٩ ؛ أهداف كل سورة ومقاصدها، عبد الله شحاته: ٢١٥/١.

(٥) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها، عبد الله شحاته: ٢١٤/١ ؛ الدرر في مقاصد السور، البشاوري: ٥٣/٢.

خامسًا: امتازت سورة مريم بسهولة نظمها، وخُتِمت أغلب آياتها بالألف اللينة، وقصّة إبراهيم عليه السلام الواردة فيها كان حواره مع والده سلسًا، لطيفًا، وأيضًا خُتِمت آيات القصّة بالألف اللينة، مثل: نبيّا، صفيّا، عليّا[1].

الخاتمة

اتّضح من خلال البحث الآتي:

١– جاءت قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام لتأكيد مقصد السورة الكريمة في نفي الشريك والولد عن الله سبحانه وتعالى.

٢– انسجمت القصّة مع مقصد إثبات قدرة الباري عزّ وجلّ على خرق الأسباب، حيث بشّره الله تعالى بإسحاق رغم كِبَر سنّه وعقم زوجته.

٣– إنّ سورة مريم كشفت في قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام عن شخصيته من خلال تعامله مع أبيه من رحمة ولين وثبات على الحقّ.

٤– أظهرت القصّة جانبًا من بلاغة القرآن الكريم العجيبة، وإعجازه البياني في ترتيب ألفاظ القصّة لتتناغم مع موضوع السورة الكريمة.

٥– اتّسمت آيات القصّة بسهولة نظمها؛ حيث انتهت أغلب آياتها بالألف اللينة، وهو ما يتناسب مع محور السورة العام التي غلب عليها جو الرحمة واللطف، فجاء حوار نبينا إبراهيم عليه السلام مع أبيه رقيقًا، غلب عليه نداء المحبّة { يا أبْتِ }.

٦– وضّحت القصّة دور القصص القرآني في دعم مقاصد السور القرآنية، إضافة إلى تأكيدها على وحدة الرسالات الإلهية، وترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة وتثبيت القلوب عليها.

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية (خصائص السور)، جعفر شرف الدين: ٢٦٧/٥.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أبو طارق السلفي، مكتبة فياض، القاهرة، ط١، (١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م).

٢- الأساس في التفسير ، سعيد حوى (ت: ١٤٠٩هـ) ، دار السلام ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٤٢٤ هـ .

٣- أسماء سور القرآن وفضائلها ، د. منيرة محمّد ناصر الدرسري ، تقديم: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، دار ابن الجوزي، ط١، (١٤٢٦هـ).

٤- أسئلة بيانية في القرآن الكريم ، فاضل صالح السامرائي، مكتبة التابعين، القاهرة ، ط١، (٢٠٠٨م).

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل _تفسير البيضاوي، ابي سعيد، ناصر الدين، عبد الله بن عمر بن محمّد بن الشيرازي البيضاوي (ت:٧٩١هـ)، تحقيق: محمّد صبحي بن حسن حلاق، محمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق _بيروت، ط١، (١٤٢١هـ_٢٠٠٠م).

٦- أهداف كل سورة ومقاصدها، عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، (١٩٨٠م).

٧- البحر المحيط في التفسير، ابو حيان، أثير الدين، محمّد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمّد معوض، زكريا عبد المجيد النوتي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

٨- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمّد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة-مصر، (د.ط) (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

٩- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧، (١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م).

١٠- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري أحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت ، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

١١- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيّات، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط ، د.ت.

١٢- التحرير والتنوير ، محمّد الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ، د.ط، (١٩٨٤م).

١٣– التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم ، محمّد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت:٧٩١هـ)، تحقيق :محمّد سالم هشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٥هـ_١٩٩٥م).

١٤– تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود، محمّد بن محمّد العمادي (ت:٩٥١هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت _لبنان، د. ط، د.ت.

١٥– التفسير البلاغي في القرآن الكريم ، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط٣ ، (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م) .

١٦– تفسير السمرقندي، بحر العلوم، ابو الليث، نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت:٣٧٣هـ)، تحقيق: علي محمّد معوّض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ_ ١٩٩٣م).

١٧– التفسير الكبير، ابو عبدالله فخر الدين، محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري (ت:٦٠٦هـ)،دار الفكر للطباعة والتوزيع، بيروت، ط١،(١٤٠١هـ_ ١٩٨١م).

١٨– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د وهبة الزحيلي ، دار الفكر، دمشق ، ط ١٠، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م).

١٩– التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، إشراف: أ.د مصطفى مسلم ، جامعة الشارقة، الامارات العربية المتحدة ، ط١، (١٤٣١هـ – ٢٠١٠م).

٢٠– تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن ، مقاتل بن سليمان ابن بشير الأزدي بالولاء البلخي (ت ١٥٠هـ) ، تحقيق : د. عبدالله محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م).

٢١– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة فياض، المنصورة، ط١،(١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م).

٢٢– الجامع لأحكام القرآن، محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، محمّد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م).

٢٣– الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ابو زيد عبد الرحمن بن محمّد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق : الشيخ علي محمّد معوض ، دار أحياء التراث العربي بيروت، لبنان، د.ط، (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م).

٢٤- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم (عليه السلام)، السحات محمّد أبو ستيت، مطبعة الامانة، مصر، ط١، (١٤١٢هـ_١٩٩١م).

٢٥- الدرر في مقاصد السور ، أو التسهيل في مقاصد سور التنزيل ، أبو محمّد، أمين البشاوري ، المكتبة المحمديه ، بشاور – باكستان، ط ١، (١٤٤٢هـ).

٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل ، شهاب الدين، السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق :علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل ، شهاب الدين، السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق :علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٨- زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي القرشي البغدادي (ت:٥٩٧هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط١(١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م).

٢٩- زهرة التفاسير، محمّد بن أحمد بن مصطفى، المعروف بأبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، د. ط، د.ت.

٣٠- صحيح البخاري، ابو عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفيت:(٢٥٦)، تحقيق: محمّد بن زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، (١٤٢٢هـ).

٣١- صفوة التفاسير، محمّد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت، ط٤، (١٤٠٢ هـ_١٩٨١م).

٣٢- العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)، تحقيق : مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، (د.ت).

٣٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين، الحسن بن محمّد بن حسين القمّي النيسابوري، تحقيق :الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١(١٤١٦هـ_١٩٩٦م).

٣٤- القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، د. محمّد حامد عثمان، دار الزاحم للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٥- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمّد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٣٦– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، للعلامة أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، السعودية، د. ط، د.ت.

٣٧– لسان العرب، محمّد بن مكرم بن علي، ابو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، (١٤١٤هـ).

٣٨– مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، (١٤٢١_٢٠٠٠م).

٣٩– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمّد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ_٢٠٠٢م).

٤٠– مرشد الخلان إلى معرفة عدّ آي القرآن ، عبد الرزاق علي إبراهيم موسى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١، (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

٤١– معارج التفكّر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، (١٤٢٠هـ – ٢٠٠م).

٤٢– معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق، ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١، (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

٤٣– معجم لغة الفقهاء، محمّد رواس قلعجي _حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، ط٢، (١٤٠٨هـ_١٩٨٨م).

٤٤– المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم، الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية–دمشق–بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٥– المقاصد العامة للقرآن الكريم، أحمد الوتّاري، مكتب التفسير، أربيل، ط١ ،(١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م).

٤٦– مقاييس اللغة، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، (١٣٩٩هـ_١٩٧٩م).

٤٧- الموسوعة القرآنية (خصائص السور) ، إعداد: جعفر شرف الدين ، تقديم: د. عبد العزيز بن عثمان التوجري، مراجعة: د. محمّد توفيق أبو علي ،الاستاذ أحمد حاطوم، د. دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت ، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٤٨- نظرات بلاغية في آيات قرآنية ، عادل أحمد صابر الرويني ، مصر ، مكتبة عباد الرحمن ، د.ط ، (د. ت).

٤٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت:٨٨٥)، دار الكتاب الإسلامي _القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

البحوث والرسائل والأطاريح:

١- الدلالات السياقية لقصّة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم"، هاجر مصطفى أحمد محمّد رشوان، رسالة ماجستير، جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

٢- قصّة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم دراسة تفسيرية بيانية"، د. الصافي صلاح الصافي، مجلّة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود- جامعة الأزهر، الإصدار: الثاني، العدد: السابع والثلاثون، (١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)، ١٠٧١-١١٢٢.